نَقْدُ رِوَايةِ الشّعْر عِنْدَ البَكْريّ

ميثم حسن عارف
أ . د جمال عبد الحميد السوداني
الجامعة المستنصرية /كلية التربية/ قسم اللغة العربية
Maitham_ha@yahoo.com

ملخص عربي :

إنّ أبا عُبيد البكري كان له إهتماما كبيرًا بنقد رواية الشعر وبيان صحيحها من فاسدها، والتي شغلت مساحة واسعة في عمله النقدي، مستعينا بالمقاييس النقدية التي دأب في استعملها من سبقه وعاصره من النقاد، مظهرًا براعته في توظيفها توظيفًا صحيحا. كما أعتمد أبو عبيد البكري في عمله النقدي للكشف عن الرواية الشعرية ما يملك من خبرة واسعة وإطلاع وإجادة في العلوم الأخرى ومنها الجغرافية، وهو بذلك يفتح الذهن أمام النُّقاد في استثمار العلوم في النقد الأدبي.

The Abu Ubaid had a great interest in the novel and poetry criticism statement Sahihaa of Vassadha, which occupied a large area in his cash, using the cash that has been in the standards used by his predecessors and lived during the critics, showing his proficiency in employing major employers true. Al Bakri also adopted in his cash for the detection of novel capillary what has vast experience and to inform and proficiency in other sciences, including the geographical, which thus opens the mind to the critics investment in science in literary criticism.

نَقْدُ رِوَايةِ الشّعْر عِنْدَ البكْريّ

يعد نقد الرواية الشعرية جزءًا من أصول النظرية النقدية العربية، والتثبت منها يُعدّ جزءًا من عملية التقعيد النقدي، وإرساء قواعد البحث النقدي العربي القديم. ولعلّ في مقدمة ذلك النزوع إلى تثبيت أسس تواصلٍ عبركفاية تمييز الرواية الصحيحة من الرواية الفاسدة؛ لأن هذا الأمر ينطلق عن دراية مؤداها أنّ الرواية الصحيحة معادلة للجودة الشعرية، وهي تأتي على شكل نسق من الذوق والمعرفة بأنّ النصوص الشعرية التي يقوم النقاد بروايتها ونشرها تنزل منزلة النصوص الشعرية الأنموذجية، على شكل ممارسة توثيقية، يحافظ فيها الراوية على صلب الرسالة الشعرية. والنتائج التي تنجم عن تثبيت العلاقة على هذا النحو جلية واضحة إلى جهة التواصل الشعري، إستنادًا إلى تحقيق غاية نقدية أساسية، تقوم على خلق مسارٍ لانتقال النصوص الشعرية بدرجة من الثبات، لدى معظم النقاد والبلاغيين.

وهذا الوضع هو الذي خلق أسبقية الرغبة في تثبيت الرواية وتصحيحها؛ للقضاء على التشويش الذي وجده الرواة أمام تعدد روايات الشاهد الشعري الواحد، في سبيل أن تكون التطورات النهائية للنص أصلية، وفي ذلك نشاط دؤوب وجدناه عند الرواة العرب؛ لأنّه يتعرض لإعادة بلورة النصوص الشعرية وتعديلها خلال حقبة زمنية معينة.

وهنايستند النقاد إلى الرواية الصحيحة من أفواه العلماء بالشعر، كقاعدة لتأسيس مقايسة الشعر المصنوع المفتعل بالشعر الصحيح الثابت الذي لا يُرد.

والرواية في اللغة تعني الاستقاء، يقال: ((رويت القوم أرويهم إذا استقيتُ لهم...))[i]. ثم تطورت دلالة الكلمة من معناها المادي في الجاهلية إلى المعنى المجازي، يقال: ((رويت الحديث والشعر روايةً فأنا راوٍ في الماء والشعر، من قومٍ رواةٍ، ورويته الشعر ترويةً، أي حملته على روايته، وأرويته أيضاً...))[ii]

والرواية إصطلاحًا هي حمل الأخبار والأشعار ونقلها. وهي بهذا المعنى ((أمر قديم عرفه العرب في الجاهلية، كما عرفوه في الإسلام، ذلك لأنَّهم قوم يحبون الشعر، ويحرصون على تناقله... ويتخذون منه ديوانًا، يؤولون إليه إذا أرادوا أنْ يذكروا شيئاً من مفاخرهم، ومناقبهم))[iii]

وقد كان للشعر رواة في الجاهلية، وكان للشاعر راويةٌ أو عدةُ رُواة. وكانت القبائل حريصةً كُلَّ الحرصِ عَلَى روايةِ أَشْعارِ شُعرائها، وأَشعار خصومها. وجاء الإسلام والشعر ديوان العرب، وسجل حوادثهم وأخبارهم؛ يحفظونه في الصدور، ويتلقاه الخَلَفُ عن السلَف.

وجاءتْ الحياةُ الإسلامية بأُمُور جديدة، ومعارفَ جديدة. ولَمْ يَكنْ تدوينٌ ولا كتابةُ. فانصرفَ فَريقٌ من العرب إلى حفظ ما سبق من أشعارٍ وأخبارٍ وروايَتها.

وفي مطلع القرن الثاني الهجري تطور أمر الرواية حتى كانَ للناس في رواية الأدب قصدٌ جديد، حتى اضطرتهم الحياة الاجتماعية والفكرية إلى رواية كل شيءٍ قام عليه اللسان العربي، دعتْ إلى هذا القصد حركةُ التدوين، ووجُودُ البيئات العلمية المتنوعة واشتغالها بالاستنباط واستخراج القياس، وحاجتها إلى الأَمثلة والشواهد. وهذا القصد وجِد عند النحويين واللغويين والمفسرين ومختلف المشتغلين في العلوم الأخرى، فأقبلوا على أخذ علم العربية من مظانه الكثيرة؛ أخذوه عن الأعراب الّذين كانوا يقدمون الحواضر وينزلونها؛ وأخذوه عن بوادي الحجاز ونجد وتهامة التي كانوا يقيمون بها دهراً، ويكتبون بها عن العرب كثيراً؛ كذلك أخذه بعضهم عن بعض[iv].

وإذا كانت الرواية المكتوبة قد أخذت دورها الواضح في عصر التدوين منتصف القرن الثاني الهجري، فإنّ الرواية الشفوية كان لها دورٌ رئيسٌ في نقل التراث العربي من جيل إلى جيل، بسبب عدم شيوع الكتابة، على أن الرواية الشفوية لم تكن بمنأى عن التحريف بالقدر الذي تصوره العلماء، فقد اكتنف جوانِبَها بعضُ الفساد، وكانتْ عرضة للتغيير والتبديل والخلط والاضطراب لأسباب مختلفة كالشهرة والمشاكلة والقربى والمعاصرة، وغيرها من الأسباب التي وقف النقاد على الكثير منها في توثيقهم للنصوص الشعرية في العصور اللاحقة[v].

وربما كان أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) وحماد الرواية (ت١٥٥هـ) من أوائل المشتغلين بهذا النوع من الرواية، فقد مهدا الطريق لمن جاء بعدهما من الرواة[vi]، وقد اشار ابن سلام إلى ذلك بقوله

: ((وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حمَّاد الرواية))[vii]. وعن أبي عمرو وحمَّاد أخذ أئمة الرواية الأخرون،((كخلف الأحمر والمفضل والأصمعي وأبي عمرو الشيباني، وأخذ عن هؤلاء تلاميذهم كابن الأعرابي وأبي حاتم السجستاني، ثم أخذ عن هؤلاء السكّري وثعلب وأضرابهما))[viii].

وقد بذل النقاد في سبيل تصحيح النصوص الشعرية وتوثيقها جُهودًا مضنية، واتخذوا لأنفسهم لتحقيق هذه الغاية جملة من المقاييس المنبثقة من النصوص نفسها، بمعنى أنَّهم كانوا يستقرئون النصوص، ويستخرجون منها أدلة تثبت خللها أو فساد روايتها، وما تضمنته تلك النصوص من أدلة على صياغتها البديلة الحقيقية، وقد استمدوا هذه المقاييس من علوم اللغة

كالنحو والصرف والبلاغة، ومن السياقات المعنوية للنصوص، والأدوات الفنية التي دأب الشعراء على استعمالها في إبداعهم، كطبيعة التعبير، وأنواع الأساليب، والعروض والقوافي. وحاولوا تصحيح رواية الفاظ البيت او الابيات الشعرية بالمقارنة بما يرويه الثقات والنظر إلى سند الرواية الادبية، وهو منهج استمدوه من أهل الحديث في تقويم رواية الحديث النبوي الشريف[ix].

ولو رجعنا إلى المصادر لوجدنا الكثير من الأمثلة التي تظهر شواهد العمل في تنقيح الرواية وتشذيبها وإظهار صالحها من فاسدها. ومنها النقد الذي وجهه البلاذري (ت٢٧٥ه) معتمدا على علم العروض، في الرواية التي أخذ بها ابن الأعرابي في بيت شعر الأعشى، يقول البلاذري: ((قرأتُ على ابن الأعرابي شعر الأعشى، فلمَّا بلَغْتُ:

لا تَشْتَكّي إليَّ مِنْ ألمِ النِّسعِ ولا من حَفًى ولا من كَلالِ[x]

وقلت: (نقِبَ الخُفُّ للسُّرَى)؛ فقال لي: (نَقَبَ الخُفُ للسُّرَى)، فقلت: أعزك الله إنَّ تضمين بيتين عَيبٌ عند الحُذَّاق بالشعر، أ فَيُضَمّنُ الأعشى مع تقدمه ثلاثة أبيات؟ فقال لي: أنت شاعر؟ قلت: شاعرٌ كاتب؟ فقال: ما تُنْشدُه بعد هذا إلا كما أنشدْتَ))[xi].

يدل هذا الكلام على أن علم العروض كان أحد المعايير التي إرتكز عليها النُقاد في نقد النصوص من الداخل. ولعلّ استعراض النصوص التي تشير إلى ذلك يطول، ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى جهود المبرد (ت٢٨٦هـ)[xii]،وأبي جعفر النخاس (ت٣٣٨هـ)[xiii]، وما قدَّمه المعري (ت٤٤٩هـ)[xiv]،والأعلم الشنتمري(ت٤٧٦هـ)[xv]، وغيرهم.

لقد تنفس أبو عبيد البكري من هواء هذا الجو العلمي في التعامل مع الرواية الشعرية واعتمد جملة من المعايير التي انماز بها من خلال تعامله مع النصوص الشعرية توضح عمق انتمائه الى مجال النقد الادبي.

ولعلَّ من أبرز وجوه هذا التعامل مع الرواية الشعرية اعتماده النحو في الترجيح بين الروايات المتعددة للنص الشعري الواحد فهو يرجح الرواية الخالية من الخطأ واللحن وموافقة في الوقت نفسه لقواعد النحو و الأسلوب العربي الرصين في التعبير، من ذلك تفضيله رواية أبي تمام على رواية أبي علي القالي التي لم تأتِ موافقة للبناء النحوي للجمل فقد: أنشد ابو علي رحمه الله لسُلمِيّ بنِ ربيعة:

حَلَّتْ تُماضِرِ غُربةً فاحْتَلَّتِ فَلجًا وأهْلُك بالــلِّوَى فالحلَّتِ

فكأنَّ في العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ أوسُنْبُلًا كُحِلَتْ بِهِ فانهَلَّتِ[xvi]

ورى ابو تمام البيت الثاني باختلاف قليل على النحو الآتي:

فكأنَّ في العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ كُحِلَتْ بِهِ أوسُنْبُلًا فانهَلَّتِ[xvii]

وهنا فضل البكري رواية أبي تمام على رواية القالي موضحًا مبررات هذا التفضيل بقوله: ((وهي احسن من رواية ابي علي ـــــــــ لانه يلزمه على روايته أن يقول: كُحلت بهما. فأما قوله: فكأنَّ في العينين . . . ثم قال: كُحِلت ولم يقل: كُحِلتا ولا انهلَّتها، فلأنَّ الشيئين إذا اصطحبا وقام كل واحد منهما مقام صاحبه، جرى كثيرًا عليهما ما يجري على الواحد، كما قال الراجز:

لِمَنْ زُحْلُوفَةٌ زُلُّ بِهَا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ[xviii]

ولم يقل: تَنهلَّان))[xix].

وهكذا عمد البكري إلى تفضيل رواية أبي تمام للبيت الثاني على رواية أبي علي لأنَّها لم تكن موافقة لقواعد البناء اللغوي السليم؛ وذلك لما جاء في رواية أبي علي في الإخبار عن (القَرَنْفُل) و(السُنْبُل) بلفظ الواحد وهو قوله (به)، وهما غير مصطحبين. وهذا غير جائز في اللغة. إلا أن العرب تَخْرُجُ من الإخْبَارِ عن إثْنَين إلى الإخبار عن واحد، وهي تريدهما معا، قال تعالى[xx]: ((فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى))[xxi].

وفي موضع أخر يستدل أبو عبيد البكري على فساد الروية الشعرية مستعينا بالمعيار النحوي؛ فهو يورد إنشاد أبي علي القالي رحمه الله بيتا لأبي الأسود الدؤلي جاء فيه:

وإنَّ امرأً لا يُرتَجَى الخيرُ عندَهُ يَكُنْ هَـيِّـنًا ثِقْلًا على مَنْ يُصاحِبُ[xxii]

فيقول ابو عبيد البكري معلقًا: ((هذا سهوٌ من أبي علي رحمه الله لم يشْعُره؛ لانجزام قوله: (يَكُنْ هَـيِّـنًا) من غير جازم، وانما صحَّة إنشاده:

وأيُّ امرئٍ لا يُرتَجَى الخيرُ عندَهُ يَكُنْ هَـيِّـنًا ثِقْلًا على مَنْ يُصاحِبُ

فوضع إنَّ مكان اي))[xxiii].

وهنا يُظهر البكري قدرة على النّقد النحوي الذي يمثل جانبًا من جوانب عناية العرب بالعربية، ووسيلة من وسائل العلماء لبيان قيمتها ومكانتها والحفاظ عليها، فهي لغة القرآن والحديث ، ذلكلأنّه كان يبحث في الأسباب التي أدّت إلى ظهور اللّحن وتفشيه في لغة العرب بعد اختالطهم بالأمم الأخرى،ويهدف إلى إيجاد الأساليب التي يمكن من خلالها وضع ما هو صحيح. إذ يدور حول الحكم على توجيهات النحاة للمسائل النحوية بالحسن والجودة أو القبح والرداءة ، وصولًا إلى الرأي الأصوب الذي يتفق مع قواعد اللغة والمألوف من نظامها اللغوي السليم.

وقد يجمع أبو عبيد البكري الجانب النحوي ودلالة الألفاظ وسلامة المعنى في الاستدلال على الرواية الصحيحة من الفاسدة. ويظهر ذلك في رفضه رواية أبي علي القالي لقول زينب بنت الطَّثرية ترثي أخاها:

كَرِيْمٌ إذَا استَـــقْـــبَـلْتَه وإمَّا تَـوَلَّى أشعثُ الرأس جَافلُه[xxiv] مُـتَـــبَسِّمٌ

فعلق البكري قائلًا: ((وهذا أحسن لفظا وإعرابًا؛ لأنَّ قوله: (إذا استقبلته) أحسنُ مُطابقةً لقوله: (وإما تَوَلَّى) وكذلك الرفع في قوله: (مُتبسمٌ) أجوَدُ في المعنى، لأنك إذا نَصبْته أوجب أنَّه لا يكون كريمًا إلا في حين تَبَسُّمه، وإذا رفعت فهو كريمٌ مُتَبَسمٌ متى استقبلتَهُ أو لاقَيْتَهُ))[xxv].

ووفق معيار دلالة اللفظ على المعنى بدقة يرجح أبو عبيد البكري رواية أبي حاتم وعبد الرحمن نقلا عن الاصمعي على رواية أبي علي القالي في قول العجاج :

يَقْتَسِرُ الأقوامَ بالتغَمُّم قَسْرَ عَزيزٍ بالأكال مِلْذَمِ[xxvi]

يقول ابو عبيد البكري: ((هكذا رُوِيَ عنه ـــــــ ابي علي القالي ـــــــ بالتغَمُّم بالغين ـــــــ لم يُختلف في ذلك عنه، وهو وهمٌ؛ وإنَّما هو بالتـــــقَـــــمُّمِ بالقاف؛ اي: بالركوب والاعتلاء؛ كذلك رواه ابو حاتم وعبدُ الرحمن عن الأصمعي، رحمه الله وفسرها بما ذكرته وهو الذي لايصح سواه))[xxvii].

فقد نظر البكري إلى عدم استقامة المعنى في رواية أبي علي لوجود خطأ في اللفظ؛ مرجحًا بذلك رواية أبي حاتم وعبد الرحمن؛ لما حوته من صحة دلالة اللفظ ووضوح المعنى. وقد مكنه من ذلك ما يملكه من أدوات نقدية. ومنها معرفته الواسعة بالألفاظ ودلالتها المعجمية المتعددة.

وبناء على ما سبق رفض البكري رواية أبي علي القالي لبيت حُميد بن ثور، ويرجح رواية أُخرى اختلفت فيها لفظة واحدة لكنها عند البكري أحسن في الدلالة على المعنى إذ يقول: وانشد ابو عليّ لحُميد بن ثور:

ليست إذا سَمِنتْ بجابِئة عنها العيونُ كريهةَ المَسِّ[xxviii]

ثم يعلق أبو عبيد البكري بقوله: ((وغيره يرويه إذا رُمِقَتْ وهو أحسن لان العين إنما تجْبَأ عن المرأة العَجْفَاء لا عن السمينة، وكذلك كراهية المس. وقد وصف حميد من ضِخَمِ صاحبته التي يَنْسِب بها مالم يصفه شاعر ولا ذكره ذاكر))[xxix].

وهنا يُظهر البكري التمكن في ترجيح رواية النص الشعري من خلال الإحاطة بالألفاظ والدراية بدلالاتها، التي تشكل بنية النقد اللغوي، الذي يهتم بالنص الأدبي ويطالب بصياغته على وفق قواعد التركيب التي تتحقق بوضع الألفاظ في موضعها، وضم كل لفظة منها إلى شكلها، وعدم استعمال ما يؤدي إلى الغموض والتعقيد والإبهام، حتى تتحقق للمعنى السلامة والوضوح وسلاسة النظم.

ويعد علم العروض أحد المعايير المهمة التي اعتمدها أبو عبيد البكري في نقده لرواية الشعر. فقد اعترض على إنشاد أبي علي القالي قول الشاعر الأُبَيْرِد اليَرْبُوعي:

فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْل يَقْضِي مَذمَّةً إذا نَزَل الأضْيافُ أو يَنْحر الجُزْرا[xxx]

إذ يقول: ((هذا سهو منه، وإنَّما هو أو تُنْحَر الجُزْرُ، والقوافي مرفوعة، وقبله:

فَتًى إنْ هو استغنى تَخرقَّ في الغنى وإن قلَّ مالًا لَمْ يَؤُدْ مَتْنَهُ الفَقرُ
فَتًى لا يعدّ المالَ ربًّا ولا تُرَى لَهُ جَفوةٌ إنْ نالَ مالا ولا كِبْرُ))[xxxi]

ومن هذا القبيل اعتراضه على إنشاد أبي علي القالي قول الشاعر:

كأنَّما وَجْهُكَ ظِلٌّ من حَجَرْ خَضِلٌ في يومِ ريحٍ ومَطَرْ[xxxii]

إذ يقول: ((قوله (خَضِلٌ في يومِ ريحٍ ومَطَرْ) غير صحيح الوزن، وإنما هو (ذو خَضِلٌ في يومِ ريحٍ ومَطَرْ) كذلك أنشده الرُّوَاةُ))[xxxiii].

وعلى أساس المعيار العروضي دافع البكري عن الأصمعي في ما اتُّهِمَ به من رواية فاسدة الوزن، إذ نُسب اليه إنشاده بيتًا للأضبط بن قريع مختل الوزن. حيث ذكر البكري رواية أبي علي لشعر الأضبط وهي قوله:

وصِلْ حِبالَ البعيدِ إنْ وَصَل الـــــ ـــــحَبْلَ وأقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ[xxxiv]

ثم يقول البكري: ((قال أبو علي: قال أبو العباس ثعلبٌ: وكان الأصمعي ـــــــ رحمه الله ـــــــ يُنشده :

فَصِلَنَّ البَعِيدَ إنْ وَصلَ الحَبْلَ

هذا الإنشاد نَسْبُهُ إلى الأصمعيّ رحمه الله لا يجوز؛ لأنَّ البيت يكون حينئذٍ من العروض الخفيف، والشعر من المنسرح، والأصمعي لا يجهل ذلك))[xxxv].

وهكذا عمد البكري الى نفي رواية هذا الشعر عن الأصمعي. وهذا الدفاع في تنزيه الأصمعي عن رواية الأبيات الفاسدة يؤكد أهمية هذا المعيار لدى البكري في التعامل مع رواية الشعر.

وقد يعمد أبو عبيد البكري في تفضيل رواية نص شعري، إلى استحسان الصنعة في الشعر؛ فهو يفضل رواية السُّكري على رواية أبي علي القالي ورواية الترمذي لبيت ابي الشغب استناد الى حسن الصنعة. اذ يروي ابو علي لابي الشغب:

إذَا كان أولادُ الرجالِ حَزازةً فأنت الحَلال الحُلْو والبارد العَذْب[xxxvi]

ويعلق البكري على رواية أبي علي القالي بقوله: ((ورواه الترمذي: اذا كان اولاد الرجال حرارةً برائين مهملتين، ورواه السُّكري مرارةً، وهو أحسن في صناعة الشعر لقوله: فأنت الحلال الحلو))[xxxvii]. وهو بذلك يرجح رواية السّكري ويفضّلها بوصفها أكثر صنعة من روايتي القالي والترمذي.

وقد تؤدي شخصيةُ الراوية الثقة دورها في توثيق الرواية عند البكري، التي يعدها صحيحة، معتمدًا فى ذلك النسخ الفذّة، التى كتبها العلماء أنفسهم بأيديهم، أو التى كتبها ورّاقوهم المعروفون، أو تلاميذهم المبرّزون، وقرؤوها عليهم. ومن ذلك ماجاء في قول أَرْطَأَةَ بنَ سُهَيَّة:

ولُما أن بَدَتْ أعلامُ صُبْحٍ وجَوْشُ الدِّبلِ بَادَرْتُ النَّذِيرَا[xxxviii]

يعلق البكري عل هذه الرواية بقوله: ((هكذا نقلته من نسخة شرقية عتيقة، مَقْرُوءَة على ابي بكر بن دريد. وجوش الدبل، بكسر الدال المهملة، بعدها الباء أخت الواو، وهو الصحيح، لان الدبل في بلاد بني فَزَارَة))[xxxix].

ومما يتصل بهذا الجانب اعتماد البكري في نقد الرواية وترجيحها على اتّفاق الروايات، فهو يسلم بصحتها دون اعتراض مشيرًا إلى إجماع الرواة عليها: من ذلك ما جاء في شعر ابن مُقْبِل:

حتى شَرِبْنَ بماءٍ لا رِشاءَ لَهُ من حَوتَنَاتَيْنِ لا مِلحٍ ولا دَمِنِ[xl]

يعلق أبو عبيد البكري على هذه الرواية بقوله: ((هكذا إتفقت الروايات))[xli] .

وكذلك ما نقله من شعر لعمرو بن أحمر:

وَقَارِعَةٍ مِنَ الأَيَّامِ لَولا سَبِيلُهُمُ لَزَاحَتْ عَنْكَ حِينا
دَبَبتَ لَها الضرَاءَ وَقُلْتَ أَبْقَى إِذا عَزَّ ابْنُ عَمِّكَ أَنْ تَهُونَا[xlii]

ج

إذ يعلق ابو عبيد البكري على هذه الرواية بقوله: ((هكذا صحت رواية هذا البيت، دون اختلاف بين الرواة))[xliii]

ومثل هذا التعليق يُظهر لنا معرفة البكري بالرواية واطلاعه الواسع على مصادرها، كما يبين معرفة البكري بأُصول علم الرواية لغرض التثبت منها. وقد تأثر رواة الشعر برواة الحديث في اتباع هذه الطريقة في نقد الرواية،حرصوا على أخذ روايتهم من أفواه العلماء ليدلّوا على صحتها بكثرة من رواها.

ويعمد البكري في بيان صحيح الرواية الشعرية للبيت الشعري من فاسدها إلى الرواية نفسها. فهو يمعن الظر فيها، ليجد ما يُثبت صحتها أو فسادها من نص الرواية. ومن ذلك اعتراضه على مانقله ابو علي القالي من رواية لشعر ابن أحمر اذ يقول:

تُهْدَى إليه ذِراعُ الجِدى تَكْرِمَةً إمَّا ذَبِيحًا وإمَّا كَان حُلَّانا[xliv]

فيعلق أبو عبيد البكري على هذه الرواية بقوله: ((هكذا أنشده تُهْدى بضم التاء على لفظ ما لم يسم فاعله، وإنّماهو تهدِي إليه بكسر الدال، ويشهد لذلك ما قبله، وهو:

فِدَاكَ كلُّ ضئيلِ الجِسمِ مُخْتَشِعٌ وَسْطَ المقامة يَرْعَى الضَّأنَ أحيَانا
تُهْدِي إليه ذِراعُ الجَدى تَكْرِمَةً إمَّا ذَبِيحًا وإمَّا كَان حُلَّانا
عِيطٌ عَطَابِيلُ لُثْنَ الرَّيَّ وَابْتَذَلَتْ معاطِفًا سابِرِيَّاتٍ وكَتَّانا

يقول: تُهْدِي إليه هذه المرأةُ ذِراعَ الجَدْى تَكْرِمَةً؛ يَهزَأُ به. والذبيح: الذي يَصلح للنُّسك. والحُلَّان والحُلَّام: الصغير الذي يَصلح للنسك. وقوله: لثن الرَّيَّ، يريد ثيابَ الرَّيَّ فحذف المُضَافَ))[xlv]. فهو بذلك يستدل على فساد الرواية من الرواية نفسها، إذ شعر أنَّها لم تكن متماسكة مع بعضها البعض.

ويستثمر أبو عبيد البكري ما يملك من خبرة جغرافية واسعة في العمل النقدي، فيستغلها في بيان صحيح رواية الشعر من فاسدها.

فهو ينقل قول الشاعر أبو بُثَيْنَةَ في هجاء سَارِيَةَ بن زُنَيْم:

وَأَوْفَى وَسْطَ قَرْنِ كُرَاشَ دَاعٍ فَجَاءُوا مِثْلَ أَفْوَاجِ الحَسِيلِ[xlvi]

وقد روى هذا البيت السُّكري، وفسره على النحو الآتي:((كُرَاش بضم أوله، وبالشين المعجمة في آخره: جبل في ديار بني الدُّئِل من كنانة))[xlvii].

ورواه ابو علي القالي عن ابن دُرَيْد:

وَأَمْسَى فَوْقَ قَرْن كَرأْسِ دَاعٍ[xlviii]

وقد رجح البكري رواية السُّكري على رواية أبي علي القالي من خلال بيانه لموقع (كُرَاش). فيقول أبو عبيد البكري ((كُرَاش بضم أوله، وبالشين المعجمة في آخره: جبل في ديار بني الدُّئِل من كنانة؛ ..... هكذا رواه السُّكَّريّ وفسَّره. ورواه ابو علي القالي عن ابن دُرَيْد: ..... وهذا تصحيف. والله أعلم))[xlix]. فقد استطاع البكري ترجيح احدى الروايتين باعتماده خبرته باسماء المناطق الجغرافية، وهو بذلك يستعمل معيارًا في النقد الأدبي ربما لم يذهب أحد من النقاد إليه، ليؤسس قاعدة لمن بعده من النقاد في استثمار العلوم الأخرى في النقد الأدبي.

لقد رأينا أبا عبيد البكري له أهتمام كبير بنقد رواية الشعر وبيان صحيحها من فاسدها، التي شغلت مساحة واسعة في عمله النقدي، مستعينا بالمقاييس النقدية التي دأب في استعملها من سبقه وعاصره من النقاد، مظهرا مقدرةً في توظيفها توظيفًا صحيحا. كما اعتمد أبو عبيد البكري في عمله النقدي للكشف عن الرواية الشعرية، ما يملك من خبرة واسعة واطلاع وإجادة في العلوم الأخرى ومنها الجغرافية، وهو بذلك يفتح الأذهانأمام النُّقاد في استثمار مختلف العلوم في النقد الأدبي. ومن خلال ما قدمه البكري من بحث تطبيقي متميز يُظهر لنا مدى حرصه على تهذيب الرواية الأدبية ونقدها بصورة سليمة.

لقد كان أبو عبيد البكري كثير المناقشة والبحث، وقد طلع علينا من خلال مناقشاته واستدلالاته العقلية ومقاييسه النقدية بكثير من الآراء النقدية والأدبية في نقد الرواية الأدبية ، التي تجعل منه ناقداً وأديباً كبيراً.

هوامش

(١) لسان العرب،مادة (روى).

(ii) تارج العروس، مادة (روى).

(iii) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م: ٣٥، وينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الاسد، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٩م: ١٨٨، والنقد في كتب الامالي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، محمد مالك عطوف، رسالة ماجستير،كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥م:٩.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه احمد ابراهيم، دار الحكمة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م:٥٥.

(V) ينظر: توثيق رواية الشعر في النقد العربي قديم، الدكتور الشريف مربيعي، مجلة التراث العربي، العدد:٩٨، ٢٠٠٥م: ٥٠.

(vi) ينظر: النقد اللغوي عند العرب: ٣٦.

(vii) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م: ٤٨.

(viii) النقد اللغوي عند العرب: ٣٦.

(ix) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م: ١/ ٢٢٧-٢٣٣.

(x)الابيات بتمامها:

وَتَرَاهَا تَشْكو إليَّ وَقَدْ آ لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ
نَقبَ الخُفُ للسُّرى فَتَرَى الأَنْـ ـسَاعَ مِنْ حِلٍّ ساعةٍ وارتِحَالِ
أثرت في جناجن كإران الـ ـميت عولين فوق عاج رسال
لا تشكي إلي من ألم النسـ ـع ولا من حفا ولا من كلال

ينظر: ديوان الاعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور:محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، المطبعة النموذجية، ط١، د.ت: ٧.

(xi)ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو احمد الحسن العسكري (ت٣٨٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٣ه_ ١٩٦٣م: ١/ ١٤٩.

(xii) ينظر: كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ_١٩٨٨م:٦٧/١، وسمط اللآلي:١٤٩/١، وخزانة الادب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣ه)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ه-١٩٩٧م : ٢/ ٢٦٠.

(xiii) ينظر: خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي: ٣٦٧/١.

(xiv)ينظر: رسالة الغفران لابي العلاء المعري، تحقيق بنت الشاطيء، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ١٩٧٧م: ١٤٣، ١٤٤.

(XV)ينظر: شرح حماسة ابي تمام، الأعلم الشنتمري، تحقيق وتعليق: الدكتور علي المفضل حمُّوان، قسم التحقيق والنشر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٩٩٢م:ج٢/ ٧٩٩-٨٠٠.

(xvi) ينظر: كتاب الأمالي، أبو علي القالي، تحقيق: الشيخ صلاح بن فتحي هلل، والشيخ سيد بن عباس الجليمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ٨٩.

(xvii) ينظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: احمد أمين و عبد السلام هارون، دار الاجيال، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م: مج١/ ٥٤٧.

(xviii)ينظر: ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م:١٥٤.

(xix) كتاب الامالي /كتاب التنبيه على أوهام القالي في اماليه :٧٧٤.

(XX) سورة طه:١١٧.

(xxi) ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح، ابي علي الحسن بن عبد الله القيسي من علماء القرن السادس الهجري، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، مطبعة دار المغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ١/ ٢٧٥-٢٧٦.

(xxii) ينظر: امالي القالي: ٤٥٠، وديوان ابي الاسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السُكّري(ت٢٩٠هـ)، تحقيق، محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م:١٧٩.

(xxiii)كتاب التنبيه على أوهام القالي في اماليه : ٨٢٦.

(xxiv) هكذا روى البكري البيت في التنبيه، وورد في أمالي القالي وفي ديوان الحماسة بأختلاف الصدر:

كـــريـــــــم إذا لاقـــيـــتـــهُ متـــبسِّمًا

ينظر: التنبيه على أوهام القالي في أماليه: ٨١٧، أمالي القالي: ٨١٧، شرح الحماسة، للمرزوقي: مج٢/ ١٠٤٨.

(XXV) التنبيه على أوهام القالي في أماليه: ٨١٧.

(xxvi) ينظر: ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعيوشرحه، تحقيق: الدكتور عبد الحفيظ السلطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، د.ط، د.ت: ١/ ٤٦٦، و كتاب الامالي: ١٩٩-٢٠٠.

(xxvii)كتاب التنبيه على اوهام القالي في اماليه: ٧٩٢.

(xxviii) ينظر: كتاب الامالي: ٢٦٤، وديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق : عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٧١هـ- ١٩٥١م: ٩٧.

(xxix)سمط اللألي:١/٦١١. وينظر:المصدرنفسه: ٥٢٣، ٦٤٥، وكتاب التنبيه على أوهام القالي في اماليه : ٧٦٤، ٧٧٣، ٧٧٩، ٨١٢، ٨٠٧، ٨٢٣.

(xxx) ينظر: كتاب التنبيه على اوهام القالي في اماليه: ٧٩٤، وينظر شرح ديوان الحماسة، المرزوقي: مج٢/١٠٧٩.

(xxxi) التنبيه على اوهام القالي في اماليه من كتاب أمالي القالي: ٧٩٤.

(xxxii) ينظر: كتاب الامالي: ٢٨٠.

(xxxiii) كتاب التنبيه على اوهام القالي في اماليه: ٨١١، و ينظر: توثيق رواية الشعر في النقد العربي القديم: ٥٣.

(xxxiv) ينظر: كتاب الأمالي : ١١٢.

(xxxv) كتاب التنبيه على اوهام القالي في اماليه: ٧٧٧. وينظر: المصدر نفسه: ٨٢٤، و فصل المقال في شرح كتاب الامثال، لابي عبيد البكري، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الامانة، مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٩٨٣م: ٢٤٩، ٣٣٨، ومعجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، لابي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب،بيروت، ص: ٨، ٥٢٧، وسمط اللآلئ: ٧٧١/٢.

(xxxvi) ينظر: سمط اللأليء:٦٢٢/٢، وينظر: كتاب الأمالي: ٢٧٣.

(xxxvii) سمط اللأليء:٦٢٢/٢.

(xxxviii) ينظر: معجم ما استعجم:٨٢٤/٣. وشعر أرطأة بن سُيَّة المُري، جمعه وحققه وشكله: الدكتور شريف علاونه، المملكة الأردنية الهاشمية دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٦٨، ومعجم ما استعجم:٨٢٤/٣.

(xxxix) معجم ما استعجم: ٨٢٤/٣.

(xl) ينظر: معجم ما استعجم : ٤٧٣/٢، وديوان ابن مقبل، عناية وتحقيق: الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٢١٧.

(xli) معجم ما استعجم : ٤٧٣/٢.

(xlii) ينظر: فصل المقال: ٢٣٦،وشعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق: الدكتور حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت: ١٦٥.

(xliii) فصل المقال: ٢٣٦.

(xliv) ينظر: كتاب الأمالي: ٣٥٠، وديوان عمرو بن أحمر الباهلي: ١٥٥.

(xlv) كتاب التنبيه على اوهام القالي في اماليه: ٨١٩، وينظر: معجم ما استعجم:١٠٥٩/٣، و سمط اللأليء: ٩٤/١، وديوان عمرو بن أحمر الباهلي: ١٥٥.

(xlvi) ينظر: معجم ماستعجم: ١١٢٢/٤.

(xlvii) ينظر: معجم ماستعجم: ١١٢٢/٤.

(xlviii) ينظر: المصدر نفسه: ١١٢٢/٤.

(xlix) معجم ما استعجم: ١١٢٢/٤. وينظر:المصدر نفسه:٧٤٥/٣، ١١٤٥/٤، وينظر: كتاب التنبيه على اوهام القاليفي أماليه: ٧٧٠، ٧٨٤.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إيضاح شواهد الإيضاح، ابي علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، مطبعة دار المغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٣. تاج العروسمن جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزَّبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
٤. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه احمد ابراهيم، دار الحكمة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٦. توثيق رواية الشعر في النقد العربي قديم، الدكتور الشريف مربيعي، مجلة التراث العربي، العدد:٩٨، ٢٠٠٥م.
٧. خزانة الادب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣ه)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.
٨. ديوان ابن مقبل، عناية وتحقيق: دكتور رعزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٩. ديوان ابي الاسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السُكّري(ت٢٩٠هـ)، تحقيق، محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٠. ديوان الاعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور:محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، المطبعة النموذجية، ط١، د.ت.
١١. ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعيوشرحه، تحقيق: الدكتور عبد الحفيظ السلطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، د.ط، د.ت: ١/ ٤٦٦، و كتاب الامالي: ١٩٩-٢٠٠.
١٢. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: الأستاذ مطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٣. ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق : عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٧١هـ- ١٩٥١م.
١٤. رسالة الغفران لابي العلاء المعري، تحقيق بنت الشاطيء، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ١٩٧٧م.
١٥. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م.
١٦. شرح حماسة ابي تمام، الأعلم الشنتمري، تحقيق وتعليق: الدكتور علي المفضل حمُّوان، قسم التحقيق والنشر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٩٩٢م.

١٧. شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: احمد أمين و عبد السلام هارون، دار الاجيال، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٨. شعر أرطأة بن سُيَّة المُري، جمعه وحققه وشكله: الدكتور شريف علاونه، المملكة الأردنية الهاشمية دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٩. شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق: الدكتور حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت.

٢٠. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م.

٢١. فصل المقال في شرح كتاب الامثال، لابي عبيد البكري، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الامانة، مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٩٨٣م.

٢٢. كتاب الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي،تحقيق: الشيخ صلاح بن فتحي هلل و سيد بن عباس الجليمي، المكتبة العصرية ، بيروت، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٣. كتاب التنبيه على أوهام القالي في أماليه من كتاب أمالي القالي، أبو عبيد البكري، تحقيق: الشيخ صلاح بن فتحي هلل و سيد بن عباس الجليمي، المكتبة العصرية ، بيروت، د.ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٤. كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٥. لسان العرب، إبن منظور، حققه وعلق عليه: أحمد سالم الكيلاني و حسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٢٦. ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو احمد الحسن العسكري (ت٣٨٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

٢٧. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الاسد، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٩م.

٢٨. معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٩. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.

٣٠. النقد في كتب الامالي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، محمد مالك عطوف، رسالة ماجستير،كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥م.